

أضواء البيان

@ 79 { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَذَابًا مِنْ شَدِيدٍ } ، وقوله : { وَإِذْ يَتَحَفَّظُونَ فِي الذِّنَارِ فَيَقُولُ الصُّعْفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَذَابًا نَصِيبًا مِّنَ الذِّنَارِ } إلى غير ذلك من الآيات . .
الوجه الثاني أن بعضهم إن عصي [] وبغى وطغى ولم ينههم الآخرون فإن الهلاك يعم الجميع .
كما قال تعالى : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } ، وفي الصحيح من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي [] عنها : أنها لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترَبَ ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل ، هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها) قالت له : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : (نعم ، إذا كثر الخبث) وقد قدمنا هذا المبحث موضحاً في سورة المائدة . قوله تعالى : { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه أهلك كثيراً من القرون من بعد نوح . لأن لفظة { كَمْ } في قوله { وَكَمْ أَهْلَكْنَا } خبرية ، معناها الإخبار بعدد كثير . وأنه جل وعلا خبير بصير بذنوب عباده . وأكد ذلك بقوله { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ } . .
وما دلت عليه هذه الآية الكريمة أوضحته آيات آخر من أربع جهات : .
الأولى أن في الآية تهديداً لكفار مكة ، وتخويفاً لهم من أن ينزل بهم ما نزل بغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها . أي أهلكنا قروناً كثيرة من بعد نوح بسبب تكذيبهم الرسل ، فلا تكذبوا رسولنا لئلا نفعل بكم مثل ما فعلنا بهم . .
والآيات التي أوضحت هذا المعنى كثيرة . كقوله في قوم لوط { وَإِنَّكُمْ لَسَٰتُمْ رُّسُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَّصْذِحِينَ وَبِالْأَيْدِ الْأَفْلَاحِ تَعْقِلُونَ } ، وكقوله فيهم أيضاً : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقْرِمٍ } ، وقوله فيهم أيضاً : { وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } ، وقوله : { أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلَّهِ كَافِرِينَ أَمْ تُنَالُهَا } ، وقوله بعد ذكره جل وعلا إهلاكه لقوم نوح ، وقوم هود ،

